الأسئلة الإقناعية في أشعار سعاد الكواري
مقاربة حِجاجية

The argumentative questions in the poetry of Suad Al Kuwari
Pragmatics approach

عبد الله بوقصّة*
bouguessaabdellah@yahoo.com
جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر)

تاريخ الارسال:2020/12/09 تاريخ القبول: 2021/02/17 تاريخ النشر:2021/03/01

ملخص:

ممّا يحفّز عقول الباحثين المهتمّين بالشأن الأدبي الراهن، ويشنّف أسماع المتلقين الشغوفين بالدرس النقدي المعاصر تلك التجارب الشعرية النسوية التي لمعت في سماء المشهد الثقافي بدولة قطر على غرار الشاعرات: زكية مال الله، وحصة العواضي، وسعاد الكواري، وغيرهن. إلاّ أنّ التعاطي النقدي لهذه الأصوات الشعرية النسوية القطرية يبقى شحيحا ومحدودا. لذا تصدت ورقتنا البحثية إلى التجريب الشعري لدى سعاد الكواري قصد مقاربة إنتاجها من منظور لساني حِجاجي، من خلال اقتفاء أثر الأسئلة الإقناعية في شعرها، وذلك لكونها إستراتيجية ذات بعد حِجاجي تواصلي يتّصل بمقصدية المرسل وتأويل المرسل إليه. إذ تستهدف الشاعرة من خلال توظيف الأسئلة الإقناعية استمالة جمهورها وإذعانه. فأين تتمظهر القيم الحِجاجية في الخطاب الشعري؟ وهل وازنت الشاعرة في استثمار الأسئلة بين الإمتاع والإقناع؟ وكيف تجلّى الاستفهام الإقناعي في مدونتها الشعرية؟

الكلمات المفتاحية: شعر، حِجاج، تجربة، إمتاع، إقناع.

Abstract:

What attracts the attention of researchers interested in literary news and passionate about the contemporary critical lesson are these poetic feminist experiences that shone in the sky of the cultural center of Quatar. Such as the poets: Zakia Mal Allah, Hassa Al Awadhi and Suad Al Kuwari. Since human discourses are usually argumentative, Suad Al Kuwari's poems have been argumentative and persuasive. Consequently, our study has come closer to the poetic experience of Suad Al Kuwari in order to approach his production from the point of view of argumentation, by tracing the argumentative question in his poetry, as a mechanism endowed with a dimension of persuasive communication.

Keywords:poetry, argumentation, experience, communication, persuasion.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

كثيرا ما يشتغل النقد الأدبي بأسئلة النص، فيؤدي الناقد دورا فاحصا للأسئلة الإقناعية، ومتمحصا لمضمراتها. إذ لا يضطلع بترصّد الزخرفة اللفظية فقط، بل يتقصّد أيضا القدرات الإقناعية، والطاقات الحِجاجية، والمقاصد التواصلية، والوظائف التداولية. فلا محالة أنّ كلّ النصوص البشرية تصطبغ بصبغة حِجاجية، لكنّ شدّة التوتّر الحِجاجي، وفاعلية التدفّق الإقناعي سرعان ما تتفاوت من نص إلى آخر. ولا مندوحة أن يقوم الخطاب الأدبي الأرقى ممثّلا في الشعر هو الآخر على ركائز حِجاجية، ويتأسّس على مقوّمات إقناعية سواء كان ذلك تصريحا أو تلميحا. وفي هذا النطاق تنزاح الأسئلة الإقناعية عن سماتها الخطابية الاستفسارية، لتتموقع بوصفها آليات حِجاجية وإستراتيجيات إقناعية تستهدف عقول المتلقين.

وقد تصدت ورقتنا البحثية إلى التجريب الشعري لدى سعاد الكواري[1] قصد مقاربة إنتاجها من منظور لساني حِجاجي، من خلال اقتفاء أثر الأسئلة الإقناعية في نماذج من أشعارها، وذلك لكونها إستراتيجية ذات بعد حِجاجي تواصلي يتّصل بمقصدية المرسل وتأويل المرسل إليه. إذ تستهدف الشاعرة من خلال توظيف الأسئلة الإقناعية استمالة جمهورها وإذعانه. فأين تتمظهر القيم الحِجاجية في الخطاب الشعري؟ وهل وازنت الشاعرة في استثمار الأسئلة بين الإمتاع والإقناع؟ وكيف تجلّى الاستفهام الإقناعي في مدونتها الشعرية؟

واستجابةً لمتطلبات الاستهلال المنهجي، انطلقنا من جملة فرضيات أهمّها ما يتّصل بإمكانات التوفيق بين الأسئلة الاستفسارية ونظيراتها الإقناعية في الخطاب الشعري بصفة عامّة، وفي أشعار سعاد الكواري على وجه الخصوص. كما ارتأينا إتّباع خطة تراوحت بين الجانب النظري المتعلّق بالحِجاج اللغوي بين التأسيس والتأصيل، وتوظيف السؤال في الشعر العربي، والجانب التطبيقي المرتبط بملامح الحجاج التداولي في شعر سعاد الكواري، وكذا تجليات الأسئلة الإقناعية في دواوينها.

وقد اعتمدنا مقاربةً تداولية تتكئ على منظور حِجاجي، قصد رصد الأسئلة الإقناعية، وتبيان القيم الحِجاجية الكامنة في بنياتها وأنساقها.

2. الشعر بين الإمتاع والإقناع

ينهض الشعر على التجربة الفردية الذاتية، كما يسبح في فلك التخييل. فهو ذو سمات جمالية صرفة، يرمي إلى أبعاد إمتاعية. غير أنّه ثمة وجهات نظر رأت أنّ الشعر لا يخلو من آليات المحاججة، ولا ينأى عن إستراتيجيات الإقناع. لذا ذهب الدارسون في ذلك مذاهب شتّى.

فإذا ما شرع كاتب يكتب في موضوع ما، فإنّه ينشد أمرين: الإفهام، والإقناع. وهما أمران يتوقّعهما القارئ بوصفه متلقيّا للفكرة، فهو يريد الحصول على حد أدنى من الفهم، كما يتطلّع إلى الاقتناع بما فهمه. وثمّة تقاطع وتباين بين الفهم والاقتناع، فلا يمكن للإنسان أن يقتنع بكلّ الأفكار التي يفهمها. أمّا بالنسبة للشعراء.. فأمرهم

مختلف، إذا كثيرا ما ينزعون إلى الغموض. ونصوصهم متفاوتة الفهم والإفهام من قبل الجمهور المتلقي. فكلّ حسب سياقاته وثقافاته وظروفه وحالاته.

كما أنّ الإقناع بدوره ليس هو الشغل الشاغل لمعاشر الشعراء، فالشاعر يهدف إلى الفهم والإمتاع بالدرجة الأولى. والشعر –كغيره من الفنون – هدفه المتعة، لذلك كثيرا ما فشل بعض الشعراء في تدبيج مقالات صحافية، أو تحاليل سياسية، إذ سرعان ما تفرّ منهم الحجّة من أجل الفهم حينا، وفي سبيل المتعة أحيانا. وقد يلهث الشاعر خلف متعة الأداء اللغوي والصدق الفني، على حساب العرض المنطقي، والطرح المنهجي من حيث لا يشعر.

ولعلّ هذا الأمر لا يعدّ تناقضاً صارخا بين الإمتاع والإقناع، إذ إنّ الجمع بينهما متاح، ولكن لكلّ منهما وظيفته، وتقنياته. فالشاعر وإن كان يتجاوز الحجج المنطقية، فذلك لكي يمنح نصوصه طاقة متوهجة من المتعة الممتدة. وهو حينما يتساءل قائلاً: "هل أدري؟" مثلاً، قد لا يعبّر عن عجز إقناعي، أو خلل تواصلي في السلسلة المنطقية للاستدلال، بقدر ما هو تفعيل للوظيفة الشعرية يفضي إلى متعة التساؤل، والحيرة، والدهشة، والفناء... وهبْ أنّ شاعرا انتهى إلى نتائج قطعية، وقدّمها لقارئه بوصفها وجبة مقنعة في طبق حجاجي مؤكّد، لنُعِت بكونه شاعراً فاشلاً، أو شبه فاشل. وحتّى في هذه اللحظات الحرجة المحرجة من ممارستنا البحثية، وكتاباتنا النقدية، كثيرا ما انتهينا إلى طريقين: إمّا خاتمة بشكل مقنّع، وإمّا نهاية بكيف ممتع. وكثيرا ما نجد مصائرنا بين أيدي متلقينا. وتتوافر لنا ذورة الأداء حينما نجمع بين الإقناع والإمتاع.

وتباينت الرؤى التقعدية والتجارب التنظيرية المتمحورة حول حِجاجية الشعر بين مؤيد مساند لها، ومعارض ناقم عليها. وهي مسألة ظلّت محل جدل بين اللغويين والنقاد. فهناك من عارض بشدّة قضية حجاجية الشعر وعلى رأسهم الفيلسوف الأمريكي ستيفن تولمن Stephen TOULMIN الذي خلص إلى هذا الرأي في خاتمة كتابه "استعمالات الحجة LES UTILISATIONS DE L'ARGUMENT أوTHE USES OF ARGUMENT"[2]، إذ انتهى إلى تصميم متراجحة متطرفة مفادها: الشعر لا يساوي الحِجاج. فهو يردّ الحِجاج إلى ظاهرة الابتذال (LA BANALITE) أي الكلام العادي غير الممتع، ويضعه في خانة المعرفة المبتذلة الشائعة المعروفة لدى العام والخاص.[3] ومن هذا المنظور نرى الشعر في واد، والحِجاج في واد آخر. إذ إنّه من المستحيل أن ينسحب الطابع الحِجاجي على الشعر، أو يحمل الحِجاج سمات الشعرية.

على النقيض من ذلك، ثمّة رأي آخر مخالف، وإن كان يسلّم بأنّ الإقناع والتخييل هما اللذان يميزان الخطابة عن الشعر.[4] فالخطابة ترمي إلى الاستدلال والإقناع بالدرجة الأولى، أمّا الشعر فغالبا ما ينشد التخييل والإمتاع. إلاّ أنّ رواد هذا الرأي يؤمنون بإمكانية حدوث تداخل في الوظائف، فيمكن أن تنحاز الخطابة إلى التخييل، وينزاح الشعر إلى الإقناع. وقد تبنى هذا

الرأي النقاد العرب القدامى على غرار حازم القرطاجني (684هـ) الذي رأى أنّ كلّ من الشعر والخطابة يستهدفان الغاية ذاتها المتمثلة في "إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثّر لمقتضاه".[5] ممّا خوّل لكلّ منهما النهوض بوظيفة الآخر قصد التأثير في المتلقين.

ويحدث أن يجمع التقاطع الوظيفي بين الخطابة والشعر عند وظيفتي: الإقناع والتخييل، دون إغفال هيمنة الوظائف التعليمية والتوجيهية والإقناعية على الخطابة، وغلبة وظائف أخرى مثل: التخييلية والجمالية والإمتاعية على الشعر.

وهكذا تتجلّى حِجاجية النص الشعري، بالرغم من كونه تجربة جمالية ذاتية، فهو يرمي إلى الإقناع، ويستهدف التأثير في السلوك والمواقف. بينما تنزل الخطابة "منزلة وسطى بين صناعة الجدل والاستدلال، وصناعة الشعر والتخييل".[6] وبغضّ الطرف عن الضروب الحِجاجية القديمة والحديثة كالحِجاج الجدلي المنطقي في الفلسفة اليونانية، والحِجاج البلاغي في التراث العربي، نلفت الانتباه إلى الحِجاج التداولي بوصفه ظواهر لغوية من روابط وعوامل وآليات، إذ إنّه يتمظهر في كلّ الخطابات البشرية بما فيها الشعر.

وعطفا على ذلك تصير المقاربة الحِجاجية للنص الشعري بعثا جديدا أو إنتاجا متجدّدا له، من خلال استغلال مختلف الطاقات التأويلية، التي من شأنها أن تمكّننا من الكشف عن الجواهر المكنونة في ثناياه، ذلك لأنّ الدلالات ليست مطروحة في الطريق، إنّما تحتاج إلى جهود للغوص في قاع النص والظفر بدرره. كما تجدر الإشارة إلى أنّ موضوع تحليل الخطاب الشعري من وجهة حجاجية، ما برح يتلمّس خطواته المعرفية ومنهجية وكلّ مبادرة في هذا الصدد لا تكاد تكون اجتهادا مضافا لهذا الحقل الرحب الفسيح.

3 الاستفهام بين اللغة والحجاج

ينصرف الاستفهام لغةً إلى طلب الفهم[7] ، وقيل: هو الاستخبار ، والاستعلام، وقد سوّى بعض اللغويين بين مصطلحات: الاستفهام، والاستخبار، والاستعلام الذي هو أن تطلب من المخاطب أن يُخبرك"[8] .

وهكذا يعدّ الاستفهام أسلوبا طلبيا بامتياز، ويحوز على دليل لفظي يحيل إليه يتمثّل في أدوات الاستفهام، أمّا في اللسانيات التداولية، فيدرج الاستفهام ضمن أفعال الكلام الإنجازية، ويصنّفه جون لانجشو أوستين J.L. Austin ضمن مصطلح التوجيهيات ويشاطره الرأي جون رودجر **سيرل** John Rogers **SEARLE** في هذا الموقف.[9] وقد أطلق عليها اللغويون العرب مصطلح الطلبيات[10]، كلّ ذلك يؤدي غرضا إنجازيا واحدا هو حمل المتلقي على فعل شيء معين.

لكنّ الاستفهام قد يخرج أحيانا عن معناه الحقيقي أي طلب الفهم، إلى معانٍ مجازية أخرى، وهي من الأهمية بمكان في دراستنا هذه منها:

الاستفهام المجازي: وقد يحدث حينما يسأل المتكلّم المخاطب عمَّا يعرفه ويفهمه. ومنها: سؤال السائل محاولا معرفة حال المسئول ومدى معرفته لجواب سؤاله، أو سؤال السائل المسئول محاولا إيهام الحاضرين غيرهما أنّه في مقام المسترشد لما له في ذلك من الغرض ... وغير ذلك من المعاني التي يسأل السائل فيها عمّا يعرفه. فلما كان السائل في جميع هذه الأحوال قد يسأل عمَّا هو عارفه. فقد أخذ بذلك طرفاً من الإيجاب لا السؤال عن مجهول الحال"[11].

الاستفهام الخبري: ونشهده عندما يخرج الكلام من الأفعال التوجيهية أو الطلبية إلى الأفعال الإخبارية، إذ يتحوّل الغرض حينئذٍ من طلب الفهم إلى نقل واقعة أو خبر.

وههنا تطفو على السطح اللغوي والمعرفي مسألة ذات صلة بالطبيعة المقصديّة للاستفهام، تتمثّل في كون لغوي عربي بقيمة سيبويه إنّما كان يوظّف الاستفهام لا لينتظر إجابة من المخاطب، بل لحصول التوجيه في الخطاب، والنظر في المسائل التي عرضها على متلقيه. وهي أمور متعلّقة بخدمة المقصد الذي أراده، إذ يقول: "وتقول: أين ترَى عبدَ الله قائماً؟ وهل تُرى زيداً ذاهباً؟ لأنّ هل وأين كأنّك لم تذكرهما؛ لأنّ ما بعدهما ابتداء، كأنّك قلت: أتُرى زيداً ذاهباً؟ وأتظنُّ عمراً منطلقاً؟. فإنْ قلت: أين وأنت تريد أنْ تجعلها بمنزلة (فيها) إذا استغنى بها الابتداء، قلت: أين تُرى زيدٌ, وأين تُرى زيداً"[12]. ويدرج هذا الإجراء ضمن تطويع مفهوم المنزلة مع الاستفهام في بناء الخطاب. ويعدّ ضرباً من الإبداع؛ لإدراكه أنّه أمام لغة طبيعية لا صورية. وهو سبيل مقبول في بيان الأثر الإسنادي للاستفهام ومنزلته في تكوين الجملة وإن لم تكن وظيفته الإخبار.

كما يكتسي قانون الإضافة قيمة جوهرية في أحايين كثيرة، فنضيف عبره اضطلاع المحاوِر بوظيفتين في الوقت نفسه، فيكون مرة عارضاً, ومرة معترضاً مُشكِّلاً معرفةً تناظرية، ولعلّ مسلك هذه المرتبة هو حمولة الاستفهام. فيبرز سبيل سيبويه في استعمالها جدلاً في نصّه إذ يقول: "وإنْ زعم زاعم أنّه يقول: مررتُ برجلٍ مخالطِ بَدَنِه داءٌ, ففرَّق بينه وبين المنوّن. قيل له: ألستَ تعلم أنّ الصفة إذا كانت للأول، فالتنوين وغير التنوين سواءٌ, إذا أردتَ بإسقاط التنوين معنى التنوين, نحو قولك: مررتُ برجل ملازمٍ أباك, ومررتُ برجل ملازمِ أبيك, أو ملازمِك. فإنّه لا يجد بُدّاً من أنْ يقول: نَعَمْ. وإلاّ خالف جميع العرب والنحويين, فإذا قال ذلك قلت: أفلست تجعل هذا العمل إذا كان منوّناً, وكان لشيء من سبب الأول, أو التبس به بمنزلته إذا كان للأول؟ فإنّه قائل: نَعَم. وكأنّك قلت: مررتُ برجل ملازم, فإذا قال ذلك, قلت له: ما بال التنوين وغير التنوين استويا حيث كانا للأول, واختلفا حيث كانا للآخر, وقد زعمتَ أنّه يجري عليه إذا كان للآخر كمجراه إذا كان للأول..."[13].

قد يتطلب المكوّن التعليمي لدى سيبويه الرّد على بعض المسائل باستعمال ألفاظ من مثل: "يقول، قيل، قائل..." التّي تتأسّس على اعتراضات مفترضة من قبل معترض هو نفسه العارض، فيستعرض حججه على هذه الاعتراضات مستدرجاً متلقيه إلى مجاراته، وإلّا وجد نفسه متّهَما بمخالفته كلام العرب، وذلك حتّى ينساق لما أراده مجيباً بالإثبات: (نَعَم). وهذه الطبيعة النسقية للجواب من شأنها أن تُعزى إلى طبيعة المخاطب ذاته، إذ

احتاجت من المجيب أنْ يستعرض عدداً من المقدمات الكافية لحصول الفهم والإدراك. وهذا المبدأ تتحكم فيه مقتضيات التداول، فللمقاصد التخاطبية أطرها في ذهن سيبويه، ويتمّ إبلاغ المتلقي بها بوساطة اللغة، ممّا يُبرز أهمية المخاطب لدى سيبويه فيتجاوز بالإسناد الوظيفة النحويّة إلى نظيرتها التداوليّة. وبالغ سيبويه في استعمال الأمر من الفعل (علم)؛ إذ يرى الدارس ذلك خصوصية مسجّلة باسمه، ولأنّ هذا الفعل يصنّف ضمن الأفعال التوجيهية، فإنّ سيبويه يخرجه عن دلالة الأمر إلى دلاله النباهة قصد إعمال الذهن من قبل المتلقي، فيكون الإخبار بأسلوب العرض لا الوجوب؛ ليُحدِث التأثير في المتلقي ومن ثمَّ انجاز فعل معين في مرحلة لاحقة إذ يقول: "واعلم أنّ من العرب مَن يرفع سلاماً... سمعنا بعض العرب يقول (لرجل): لا تكونَنَّ مني (في شيء) إلاّ سلامٌ بسلام, أي: أمري وأمرك المبارأة والمتاركة، وتركوا لفظ ما يرفع, كما تركوا فيه لفظ ما ينصب؛ لأنّ فيه ذلك المعنى؛ ولأنّه بمنزلة لفظك بالفعل"[14].

واستند سيبويه بشكل لافت إلى مفهوم (المنزلة)، ممّا جعلنا نقتفي أثر توظيفه لها عبر نصوص الكتاب لنخلص إلى نتائج منها:

1– لقد كانت المنزلة نفساً حجاجياً يتوصّل به إلى الاستدلال على المسائل اللغوية.

2– تمظهر الإبداع من منظور سيبويه في رؤيته إلى المنزلة بكونها تقنية مركبة تعتمد الرمزية في بلورة ما في التفكير الباطن، وملمحه الخاصّ للرمز على أنّ معناه لا يتغيّر من جهة، كما ترتكز على التداعي من جهة أخرى في كون تثبيت المعنى لا يستبعد إمكانية تعدّده.

3– المنزلة قلعة لغوية شيّدها خيال سيبويه، فتجاوزت عنده وظيفتها الرئيسة (المشابهة) إلى صيرورتها إطاراً تتحرّك فيه الأحداث، فهو يخوض بها في المسائل اللغوية عرضاً وتحليلاً واستنتاجاً في مقاربات بين العقل والنقل تنمّ عن دقّة وتركيز.

4– توظيف سيبويه المنزلة بوصفها حُجة للإقناع، استمدّه من مقترحات سابقة بشأن المعرفة اللغوية والإدراك المتوقّع وعناصر السياق(المتكلّم والمخاطب والمقام). فالتوصل إلى إدراك المقصد الحقيقي حينما يخرج القول عن معناه الحقيقي، وعن تركيبه الأصل، لا بدّ فيه من مراعاة هذه الأمور.

5– لقد تفرّع عن مفهوم المنزلة مفاهيم منها:

أ– الاكتشاف: إذ استعان سيبويه بالمنزلة في تطبيق الإجراءات المحدّدة على النصوص اللغوية بصفة آلية ممّا مكّنه من بناء نحو اللغة.

ب– التقرير: كما استعمل سيبويه المنزلة بوصفها طريقة عملية في بيان مقبوليّة التراكيب والألفاظ.

ت– التقييم: في طريق تصنيف المادة اللغوية ووصفها، أبَانَ لنا سيبويه عن معرفة النحو الأنسب عبر رصد ظواهره.

وهكذا يقدّم الاستفهام منافع حِجاجية كثيرا ما شغلت الباحثين في الدرس اللساني التداولي المعاصر، فتساءلوا عن جدوى الإخبار بالاستفهام نفياً وإثباتاً وعدم التعبير التقريري المباشر للإخبار.

فجاء الردّ السريع بكون المعاني الجديدة التي يضفيها التعبير الإنجازي على نظيره التقريري من شأنها أن ترفع درجة الإقناع بالنتيجة التي يتوجّه إليها الملفوظ. ثمّ إنَّ البحث في كيفية اشتغال حِجاجية الاستفهام يحفّز على البحث في الغاية من تطبيق المتكلم له.

وإذا ما تصدينا إلى مقاربة مدونتنا التطبيقية المتمثّلة في أشعار سعاد الكواري، فإنّنا نسجّل حضور الاستفهام بوصفه آلية حِجاجية.

4 حِجاجية الاستفهام في أشعار سعاد الكواري

تجلّى أسلوب الاستفهام بمختلف ضروبه كالتقريري والإنكاري والتوبيخي في جلّ الإنتاج الشعري لسعاد الكواري على امتداد دواوينها وقصائدها. ممّا خوّل لها تناول العديد من القضايا الراهنة. فقد تجاوزت قضية النسوية التي طالما شغلت بال بنات جنسها من الشاعرات العربيات إلى آفاق أخرى أرحب. كما استندت في خطابها الشعري إلى آليات لغوية وأدبية شتّى منها: الاستفهام الذي كثيرا ما يجري على لسانها في شكل سؤال محيّر:

"أتسلّل من زئبق الوقت
منهكة خطواتي
اتسلّل هاربة
من دبيب السؤال"[15]

- الاستفهام بـ(هل)

تخرج (هل) عن معنى الاستفهام إلى معنى النفي كما في قول الشاعرة سعاد الكواري:

"هل هذا هو الحضن؟
أمي دسّت خنجرها في صدري
أمي نفضت ثوبها
فتساقطت أفاعٍ سامة على الأرض
هل هذا هو الحضن؟؟"[16]

ولكون الإجابة معلومة، فإنّ الشاعرة ترمي إلى حمل جمهورها على الاعتراف بها بوصفها إمرأة أولا ثمّ بكونها مبدعة بعد ذلك. ولعلّ المحاججة بالاعتراف أقوى من المحاججة بالإنكار والتكذيب[17].، وبملاحظة طرفي الخطاب: المرسل الشاعرة، والمرسل إليه الجمهور المتلقي، فإنَّ معنى الحمل على التصديق والاعتراف ينزل منزل الاستعطاف المؤيد بالحجج.

ويمكن توضيح بنية الحِجاج ههنا كما يأتي:

الحجج المطروحة	النتيجة الضمنية

المقدمة : أمي دسّت خنجرها في صدري، تأسست عليها الحجج الآتية :

1- أمي نفضت ثوبها

لا حضن لأمي.

2- تساقطت أفاع سامة على الأرض

تنهض هذه البنية الحجاجية على مقدمة مجازية من مثل: أمي دست خنجرها في صدري وتحيل إلى غدر الأهل والأوطان. وتأسّست على حُجتين متلازمتين هما: نفض الثوب وتساقط الأفاعي، تفضيان إلى نتيجة حتمية توحي باستحالة الحياة في مثل هذه الظروف.

الاستفهام بـ(الهمزة)

تشي أشعار سعاد الكواري بنبذ كلّ الأشكال الاستغلالية التي تعيشها المرأة في الأوساط المختلفة. في ظلّ كلّ التغيّرات الإشارية لا تستطيع المرأة التواصل والانفعال، لأنّها كثيرا ما تصنّف خارج الرهانات الثقافية والاجتماعية والسياسية. إنّها معزولة ومكبّلة بل مطمورة ومقبورة. إذ تقول شاعرتنا:

"أكان جميلا أن نقف أمام الباب

دون أن يكون لنا أي هدف؟

غير النظر إلى آخر الشارع

حتى ولو هبطت على رؤوسنا

صخرة الغريب".[18]

قبل النظر في الفعل الكلامي الموجّه للحجاج في هذا المقطع يجدر بنا الوقوف على موضوعة المفارقة المهيمنة عليه، فكلّ شطر من أشطره يتضمّن ثنائية ضدية يمكن رصدها على النحو الآتي:

1. الجمال ≠ القبح
2. الهدف ≠ العبث
3. النظر ≠ الضرر
4. الألفة ≠ الغربة

في ضوء هذه المفارقات، تخيّرت الشاعرة السؤال الحجاجي ليكون وسيلتها للتأثير والإقناع والاستعطاف. فجاءت الهمزة خارجة عن معناها الحقيقي أي الاستفهام إلى معنى النفي، بيد أنّه ليس نفياً صرفا بل هو نفي مشفوع بالإنكار والتعجب[19]، ولو أرادت النفي بذاته لقالت:

"ليس جميلا أن نقف أمام الباب

دون يكون لنا هدف".

- الاستفهام بـ(عمّ) و(أيّ)

تقول الشاعرة سعاد الكواري:

"عمّ أبحث؟

أيّ معنى تشكّلة من جديد

هذه الحروف البالية؟

الجذور التي تنبت على جمجمتي

وتسقط على الأرض".[20]

ينهض الحجاج في هذا المقطع على مقدمة مفادها: عم أبحث؟ أي الشاعرة في رحلة بحث عن الهدف. لكنّها سرعان ما تنخرط في متوالية غير متناهية من الحجج، من بنات أفكارها ونبات جمجمتها التي تلقي بها لتسقط على الأرض. وتنتهي إلى نتيجة قوامها جهل مصير أشعارها. "أيّ معنى تشكّله من جديد هذه الحروف البالية؟".

- الاستفهام بـ(كيف)

تأتي (كيف) للنفي كما في قول الشاعرة:

"كيف أهدهد هذا الذي

يتحوّل في داخلي في ثوان

لوحش بشوش ؟

يلاطفني

أركب المصعد

في هذيان لذيذ".[21]

إنَّ الشاعرة تحاجج جمهورها من خلال هذا المقطع موظّفة مقدمة حجاجية مفادها: "كيف أهدهد...؟" في شكل استفهام حجاجي يتضمّن النفي. إلى حدّ أنّها تكاد تقول: "لا أهدهد....".

وهكذا تبدأ الشاعرة هذا الفعل الحِجاجي من نفي كلّ هدهدة بطلها وحش بشوش. كما أنَّ اصطفاءها اسم الاستفهام (كيف) للنفي في مثل هذا السياق يكسبه معنى الإصرار الذي لا يتوافر في النفي المباشر[22]. فنفي حصول هدهدة الوحش البشوش، يفضي إلى الفعل الأجدى حجاجياً المتمثّل في ركوب المصعد في هذيان لذيذ.

- الاستفهام بـ(مَاذا)

وردت (مَا) للاستفهام عن غير العاقل وقد تلحق باسم الإشارة (ذا) الذي يفيد معنى التنصيص على الاستفهام إذ تحتمل (مَا) معنى الاستفهامية والموصولية فيأتي (ذا) محدداً لها بالاستفهام، فضلاً عن قوة ومبالغة

فيه[23] لكنَّها قد تخرج لمعنى النفي من دون مغادرة كاملة لدلالتها الأولى، فيكون الاستفهام فيها مُفعما بمعنى النفي، ولكنّه ليس نفياً محضاً[24] كما في قول الشاعرة:

"ماذا تريد مني؟

أظافرك مغروسة في كتفي

ارفع رأسك كي أراك جيدا

هذه العتمة تزعجني".[25]

يرتكز هذا المقطع المفعم بالرغبة والتوسّل على اعتناق مفارقة (لقاء / فراق) إذ لا يحسن الجمع بينهما في سياق واحد، لذا جرى تعبير الشاعرة عنه بالاستفهام الخارج مخرج النفي، وهي إذ قالت: "ماذا تريد مني؟" فكأنّها تقول: "لا أحتاجك".

لكنّ معنى هذا النفي الضمني يفيد الإخبار المحض. في حين تتضمّن الأشطر الموالية معاني ثانوية توحي بطلب الردّ عن سؤالها المشوب بالنفي ليكتسب معنى القطعية، وفي هذا اشتغال حجاجي جلي، بخاصة بعد رصد حجة أخرى تحمل القيمة الحجاجية ذاتها:

"هذه العتمة تزعجني"

إنَّ هاتين الحجتين تأسستا على مقدمة:

"أظافرك مغروسة في كتفي"

يمكن تمثل الحجج المعطاة على النحو الآتي :

1- أظافرك مغروسة في كتفي

2- هذه العتمة تزعجني

النتيجة : ماذا تريد مني؟ أي لا أحتاجك.

والأفعال الانجازية ههنا في هذه الحجج غير مباشرة فلا تتضمّن طلبا مباشرا، ولا تفهم إلّا بعد تأويلها، وقد تناوب كلّ من جرايس وسيرل على وضع المصطلح المناسب لهذا النمط من الحجاج. وقد أسماه الأول "التعاون الحواري" في حين أطلق عليه الثاني "استراتيجية الاستنتاج".[26]

وكأنّ الشاعرة لم تطلب ما تصبو إليه مباشرة تأدباً منها، لكنَّها لم تتردّد في التلميح إليه، وأردفت حججها بحجة أخرى " ارفع رأسك كي أراك جيدا".

كما قد عزفت عن توظيف (كيف) في صيغة السؤال عن الحال[27] وكان يمكن أن تقول:

بدلا من " ارفع رأسك كي أراك جيدا " "كيف تطأطئ رأسك؟".

وقد جاء المقطع الآتي:

"ماذا بعد يا شهوة الهذيان؟

ماذا بعد؟

هذا ظلامك المسالم

صراخك المستمرّ

أيّها المفتون بسراشة الغياب

سأعيد لطقسك المجنون زوابعه".[28]

مكثفا بالعوامل الحجاجية:

بداية من قيام الحجج على بنية المفارقة المتأسّسة على زمرة من الثنائيات المتقابلة:

ماذا بعد؟ ≠ ماذا قبل؟

ظلامك المسالم ≠ صراخك المجنون

المفتون ≠ المجنون

الغياب ≠ العودة.

إنّ اختيار الاستفهام "ماذا بعد؟" بوصفه آلية حجاجية للتعبير عن التعجب ممّا آل إليه الواقع المعيش أمر لافت للنظر، لكنّ الناظر المتأمّل ممثّلا في الباحث الأكاديمي لا يجد استفهاماً صرفاً أو تعجباً خالصاً بل الأمر يتعلّق بمزيج مهمّ من البنيات والأنساق.

5. خاتمة:

ختاماً لا يسعنا إلاّ أن ننتهي إلى جملة من النقاط المتعلّقة بالأسئلة الإقناعية في أشعار سعاد الكواري، قد أسفر عنها هذا البحث المقتضب، نوردها فيما يأتي:

- تعدّ الأسئلة الإقناعية من الآليات اللغوية التي تضرب أطنابها في بنية الخطاب، فتكتسب وَقْعًا فعّالا في المخاطب.
- كما تروم هذه الأسئلة ذات الطابع الحِجاجي إلى التأثير والاستمالة. وتنشد هدفا واحدا هو إذعان المتلقي.
- يندرج السؤال الحقيقي ضمن الأفعال الإنجازية، ولكنّه قد يخرج عن معناه الحقيقي فلا يستلزم جواباً، ويكتسي صبغة إقناعية، وقد اصطلح عليه رواد اللسانيات التداولية مصطلح الاستفهام الحجاجي.
- تمظهر استثمار الشاعرة سعاد الكواري آلية السؤال الحِجاجي. ولسان حالها يتغنّى بالأولوية الإقناعية. وتجلّى ذلك من خلال اقتصادها في توظيف العبارات، مقابل سخائها في استخدام الإشارات، ولا سيما الأسئلة المسكتة.
- إنَّ الخطاب الحِجاجي في أشعار سعاد الكواري مادة دسمة ذات خصوصية فريدة تسلك مسلكين: الأول الفيض اللساني، والثاني الإلهام الشعري.

- من الأسئلة الإقناعية التي وظّفتها الشاعرة سعاد الكواري في أشعارها: التقريرية والإنكارية والتوبيخية. وكلّ نوع يؤدي دورا مهمّا في العملية التواصلية والخطاب الحجاجي.
- مارست الأسئلة الإقناعية في المدونة الشعرية لسعاد الكواري وظائف تواصلية شتّى أهمّها: تثبيت المعاني وتقريرها وحمل المتلقي على التسليم بما تمّ إقراره، وكذا إدماجه في اتّخاذ القرارات المثلى وتحمّل تبعاتها.
- ثمّة صلات وعلائق تنشأ أثناء تناول السؤال الإقناعي بين مقصدية الملقي وتأويل المتلقي، ثمّ تتباين حسب المقامات الكلامية والسياقات التواصلية والمواقف التخاطبية.

- **قائمة المراجع:**

- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4 ،1999م.
- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ،بيروت 2005.
- أبو بكر العزاوي، الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، عدد 07، 19992.
- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ...، تحقيق: محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة، 1961م.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات جامعة منوبة، ط 2، تونس، 2007.
- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.
- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، بيت الحكمة، الموصل، 1989م.
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م.
- سعاد الكواري، ديوان "لم تكن روحي"، دار كنوز، بيروت، 2000م.
- سعاد الكواري، ديوان "وريثة الصحراء"، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2001.
- سعاد الكواري، ديوان "بحثا عن العمر"، دار كنوز، بيروت، 2001.
- سعاد الكواري، ديوان "ملكة الجبال"، دار الشرق، الدوحة، 2004.

- Stephen Toulmin, The uses of argument, ed updated,Los Angeles, 2002.

8- الهوامش:

[1] شاعرة من دولة قطر، حازت العديد من الجوائز الأدبية. صدرت لها مجموعة من الدواوين الشعرية منها: "تجاعيد" 1995م، "لم تكن روحي" 2000م، "بحثا عن العمر" 2001م، "وريثة الصحراء" 2001م، "باب جديد للدخول" 2001م، "ملكة الجبال" 2004م...

[2] Stephen Toulmin, The uses of argument, ed updated,Los Angeles, 2002, p 233-238.

[3] ينظر: العزاوي أبو بكر، الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، مجلة دراسات **سيميائية أدبية لسانية**، عدد 07، 19992، ص99.

[4] ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] القرطاجني حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 62.

[6] صولة عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات جامعة منوبة، ط 2، تونس، 2007، ص 18.

[7] ينظر، الأنصاري ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ،بيروت 2005، ج 1، ص 19..

[8] الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز ...، تحقيق: محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة، 1961م، ص 93.

[9] ينظر، نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م، ص 79.

[10] ينظر، المرجع نفسه، ص 100.

[11] ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4 ،1999م، ج 4، ص 267.

[12] سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص 121.

[13] سيبويه، الكتاب، ج2، ص 19-20.

[14] ينظر، سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 326.

[15] الكواري سعاد، ديوان "لم تكن روحي"، دار كنوز، بيروت، 2000، ص 26.

[16] الكواري سعاد، ديوان وريثة الصحراء، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، 2001، ص 14.

[17] - ينظر ابن جني، الخصائص، ج 3، ص 267.

[18] الكواري سعاد، ديوان "بحثا عن العمر"، دار كنوز، بيروت، 2001، ص 24.

[19] - ينظر، السامرائي فاضل صالح، معاني النحو، بيت الحكمة، الموصل، 1989م، ج 4، ص 610.

[20] الكواري سعاد، ديوان "ملكة الجبال"، دار الشرق، الدوحة، 2004، ص 117.

[21] الكواري سعاد، ديوان "لم تكن روحي"، ص 26.

[22] - ينظر، صولة عبد الله، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص 99.

[23] - ينظر، السامرائي فاضل صالح، معاني النحو ، ج 4 ص 635.

[24] - ينظر، الأنصاري ابن هشام، مغني اللبيب ، ج، 1 ص358.

[25] الكواري سعاد، ديوان "بحثا عن العمر"، ص 07.

[26] - ينظر، نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث النحوي المعاصر ص 51

[27] - ينظر، الأنصاري ابن هشام، مغني اللبيب، ج 1 ، ص 230.

[28] الكواري سعاد، ديوان "وريثة الصحراء"، ص 49.